

Clash of Heritage and Modernity in Contemporary Arab Thought (Studying the prophetic biography at Hichem Djaït model)

PHD, Abbassi Nawal¹

¹Amar Thaliji University –Laghouat (Algeria), n.abassi@lagh-univ.dz

Received: 03/2023, Published: 03/2023.

Abstract:

The topic of this paper is related to the clash of heritage and modernity in contemporary Arab thought, which is highlighted in the history of Arab-Islamic civilization as a human intellectual activity formulated in accordance with the spiritual and moral values that derive its effectiveness and continuity from the Islamic faith. Since the Prophet's biography is one of the most important pillars of Islam with the Holy Koran, we have chosen as a model for this thoughtful research Hisham Ja 'ait, who tried to present a new scientific reading of the Prophet's Bible based on mind, as well as through its reliance on a set of scientific curricula, the most important of which is the historical one. I tried to apply the critical analytical curriculum in order to obtain scientific findings related to Mohammed's biography and the formation of Islam. It follows modernist externalities and critical consideration of historical sources included in the conclusion as a conclusion showing heritage's relationship with modernity.

Keywords: Islamic Arab Civilization, Heritage, Modernity, Prophet's, Biography, Prophet Muhammad Peace Be Upon Him, Hichem Djaït.

صدام التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر (دراسة السيرة النبوية عند هشام جعيط نموذجاً)
د. عباسي نوال¹

¹جامعة عمار ثلجي الأغواط (الجزائر)، n.abassi@lagh-univ.dz

ملخص :

موضوع هذه الورقة البحثية يرتبط حول صدام التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر، والذي يبرز في إطار تاريخ الحضارة العربية الإسلامية كونها نشاط فكري إنساني صياغته تدرج وفق القيم الروحية والأخلاقية التي تستمد فاعليتها واستمرارها من العقيدة الإسلامية. وبما أن السيرة النبوية تعتبر من بين أهم الركائز التي يقوم عليها الإسلام مع القرآن الكريم اخترنا كنموذج لهذا البحث المفكر هشام جعيط الذي حاول تقديم قراءة علمية جديدة لسيرة النبوية مبنية على العقل، وكذلك من خلال اعتماده على مجموعة من المناهج العلمية أهمها المنهج التاريخي. وقد حاولت تطبيق المنهج التحليلي النقدي من أجل الوصول إلى نتائج علمية تتعلق بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم ونشأة الإسلام. وتتبع التأثيرات الخارجية الحداثية والنظر النقدي في المصادر التاريخية ضمنيتها في الخاتمة كاستنتاج يبين علاقة التراث بالحداثة.

الكلمات المفتاحية: الحضارة العربية الإسلامية، التراث، الحداثة، السيرة النبوية، النبي محمد صلى الله عليه وسلم، هشام جعيط.
مقدمة:

ترتبط الحضارة العربية الإسلامية بالدين الإسلامي حيث لم يبدأ العرب إسهامهم الغزير في نمو الحضارة الإنسانية إلا بمجيء الإسلام، كما أن انتصار هذه الحضارة وانتشارها خارج الجزيرة العربية قد تمّ باسم الإسلام، عن طريق الفتوحات الإسلامية التي عرفها العالم، لذلك تحتل هذه الأخيرة مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، فهي نشاط فكري إنساني تمت صياغته في إطار القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية كما أنها من أطول الحضارات العالمية عمراً، وأعظمها أثراً في العالم كله وذلك لأن الدين الإسلامي عقيدة تتفرع عنها شريعة تشمل كل أوجه التصرف الإنساني، فيصبح كل حكم من أحكام السلوك متفرعاً من أصل من أصول العقيدة التي تستجمعها حقائق أساسية ثلاثة: الألوهية، والنبوة، والبعث. وبالتالي نجد أن كل عمل يقوم به المسلم، وكل اجتهاد من اجتهاداته في شؤون الحياة عامة إنما له علاقة مباشرة بأوامر الإسلام ونواهيه. من هنا اصطبغ كل نشاط حضاري فيها بصبغة التوحيد والإيمان، وهذا ما يجعلها تختلف عن أية حضارة أخرى لم تتبنّ التوحيد صبغةً وشريعة لها. ولكن مجريات الواقع الإسلامي خلال عهد الانحطاط الحضاري أدت إلى تراخ في الصلة بين أصول العقيدة وبين نشاطات الحياة المختلفة، فلم تعد مظاهر السلوك مرتبطة بمرجعيتها

العقدية كما في البداية. وغدت حقائق العقيدة تشبه أن تكون تصديقات ذهنية غايتها في ذاتها فقط، دون أن ترتبط بغايتها السلوكية. وقد أدى هذا الوضع إلى ما يشبه الانفصال بين العادات والعبادات.

فحقيقة التوحيد التي كانت في عهود الازدهار الإسلامي تطبع حياة المسلمين كلها تشريعاً وأدباً وغيرها، أصبحت فيما بعد مجرد أفكار قابضة في أذهان المسلمين، في حين تقلص أثرها في مناحي الحياة العملية.

وقد استفحل هذا الوضع لما انفتح بعض المفكرين المسلمين أمثال محمد أركون وهشام جعيط، ناصر حامد أبو زيد وغيرهم على الحضارة الغربية فانبهروا بكل ما فيها، وراحوا يقتبسون منها في مشاريعهم الحداثية بغية تجديد التراث فوقعوا في التقليد الأعمى. من دون العودة إلى مبادئ العقيدة الإسلامية لتحافظ على الهوية الأصيلة فتحسن مسابرة هذا الوافد الغربي بما يناسب مبادئ الإسلام.

حيث أحدث هذا الأخير أثره البين في حياة المسلمين ليس على مستوى السلوك فقط، ولكن على مستوى الاعتقاد أيضاً، وهو ما يبدو في المذهبية المادية التي تسربت إلى الشباب الإسلامي، وفي العلمانية التي أصبحت مذهباً لكثير من النخب المثقفة في العالم الإسلامي، وهي التي تسيطر على الحظوظ التربوية والاقتصادية والثقافية وغيرها للأمة العربية الإسلامية، فانطبعت هذه المظاهر كلها بطابع الايديولوجيا الغربية بدرجات متفاوتة.

ولذلك تأتي هذه الورقة البحثية للوقوف على بعض ما جاء به هؤلاء في المراجعات العميقة للتراث الإسلامي عموماً وبخاصة السيرة النبوية والتشكيك في صدق ما جاء فيها وقد اخترت كنموذج لها مشروع المفكر هشام جعيط التحديتي. بهدف تبين بعض من جوانب التحديت التي دعا إلى ضرورة تطبيقها.

وقد اتبعت المنهج التحليلي النقدي للوقوف على بعض معالم المشروع الحداثي ومحاولة ممارسة النقد بهدف توضيح الحقيقة بموضوعية ومن دون تعصب لأي رأي كان خاصة فيما يخص موقف هشام جعيط من التراث عموماً. ومن السيرة النبوية على وجه الخصوص.

وتتمحور إشكالية البحث في توضيح مكامن اللبس عند بعض المفكرين الذين نادوا بضرورة العودة لدراسة التراث الإسلامي دراسة حداثية وفق مناهج عقلية خالصة تركز على إعادة مناقشة ما جاء في السيرة النبوية. فما هي الأسباب المؤدية إلى العلاقة الجدلية بين الإسلام والحداثة؟ ما هي منطلقات الحداثيين في قراءتهم النقدية للسيرة النبوية؟ وفيما تتمثل غايتهم؟ لماذا يعملون على إعادة احياء شبهة أمية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؟ من هو المفكر هشام جعيط وكيف كانت دراسته للسيرة النبوية الشريفة؟ وهل فعلاً الإسلام يعارض الحداثة؟ إلى أي مدى جانب الصواب موقفه؟
ضبط المصطلحات والمفاهيم الأولية:

1. تعريف التراث:

أ. تعريفه لغة: ورث بمعنى ترك تراثاً هائلاً أي إراثاً. وتراث الأمة: ما له قيمة باقية من عادات وآداب وعلوم وفنون وينتقل من جيل إلى جيل. وينقسم إلى التراث الإنساني، التراث الإسلامي، التراث الأدبي. (تعريف ومعنى تراث في قاموس الكل.

قاموس عربي عربي، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-a>، 28/02/2023).

ب. اصطلاحاً: عند العودة إلى اللغة العربية لتحديد أصل لفظة " تراث " نجد " جورج طرابيشي " يبين معناها بقوله: " والمفارقة أن مفعول المتأقفة هذا، أي التأثر بالثقافة الغربية الوافدة، امتد إلى واحد من الألفاظ / المفاهيم التي تبدو للوهلة الأولى أكثرها التصاقاً بالصفة التراثية الأصيلة، عنيينا كلمة " التراث " نفسها، فإلى حين الحملة النابليونية على مصر، على الأقل لم تكن كلمة " تراث " تعني إطلاقاً ما تعنيه لنا اليوم. وبالإحالة دوماً إلى " لسان العرب"، فإننا نجد أن كلمة " تراث " ما كانت تعني شيئاً آخر سوى " الإرث " و " الميراث " بالمعنى المادي للكلمة. (جورج طرابيشي : هرطقات

عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية ، رابطة العقلايين العرب ، دار الساقى ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص 96 .

ويؤكد بأن مفهوم التراث والوعي بوجوده بمعنى " ثقافة الأسلاف " قد رأى النور هو نفسه عقب " صدمة اللقاء مع الغرب "، ومن جراء الاحتكاك بثقافة الآخر. فهو يعتقد أنه وجد نتيجة رد فعل لثقافة مغايرة فقط. (المرجع والموضع نفسه).

2. تعريف الإسلام:

والسلم: الإسلام. والسلم: الاستخذاء والإنقياد والاستسلام. وقوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وَفُرِّتْ: السَّلام، بالألف، فأما السَّلامُ فيجوزُ أن يكونَ مِنَ السَّلِيمِ، ويجوزُ أن يكونَ بِمعنى السَّلْمِ، وهو الاستسلامُ واللقاء المقادة إلى إرادة المسلمين. وأخذه سلماً: أسرته من غير حرب. وحكى ابن الأعرابي: أخذه سلماً أي جاء به مُنقاداً لم يتمنع،

وإن كَانَ جَرِيحاً. وَتَسَلَّمَ مِنْهُ: قَبِضَهُ. وَسَلَّمَتْ إِلَيْهِ الشَّيْءَ فَتَسَلَّمَهُ أَي أَخَذَهُ. وَالتَّسْلِيمُ: بَدَلُ الرِّضَا بِالْحُكْمِ. وَالتَّسْلِيمُ: السَّلَامُ. وَالتَّسْلِيمُ، بِالتَّخْرِيفِ: السَّلْفُ، وَأَسْلَمَ فِي الشَّيْءِ وَسَلَّمَ وَأَسْلَفَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. (ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، الجزء 12: ادب الحوزة، مكان النشر: قم، ايران: تاريخ النشر: 1405 [1984] ص: 295)

عرفه الجوهري بقوله: "أَسْلَمَ الرَّجُلُ فِي الطَّعَامِ أَي أَسْلَفَ فِيهِ، وَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ أَي سَلَّمَ، وَأَسْلَمَ أَي دَخَلَ فِي السَّلْمِ، وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ، وَأَسْلَمَ مِنَ الْإِسْلَامِ. وَأَسْلَمَهُ أَي خَذَلَهُ. وَالتَّسْلِيمُ: الدَّلْوُ الَّتِي لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ، مُدَكَّرٌ نَحْوُ دَلْوِ السَّقَانِينِ، قَالَ ابْنُ بَرِّي: صَوَّبَهُ لَهَا عُرْفُوهٌ وَاحِدَةٌ." (المرجع والموضع نفسه).

3. مفهوم الحداثة:

يرى كل من كارل ماركس K.Marx وإميل دوركايم E.Durkeim، وماكس فيبر M.Weber، أن الحداثة تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن، وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات (Jean-Pierre Pourtois et Hugnette Desmet, L'éducation postmoderne, P.U.F, - (Paris, 1997, p26).

ويعرفها محمد سبيلا بقوله: "الحداثة حركة انفصال، إنها تقطع مع التراث والماضي، ولكن لا لنبذها وإنما لاحتوائها وتلويها وإدماجها في مخاضها المتجدد. ومن ثمة فهي اتصال وانفصال، استمرار وقطيعة: استمرار تحويلي لمعطيات الماضي وقطيعة استدمائية له. هذا الانفصال والاتصال تمارسه الحداثة حتى على نفسها، فما يسمى بعد الحداثة لا يمثل مرحلة تقع خارج الحداثة و"بعدها" إنه أقرب ما يكون إلى مراجعة الحداثة لنفسها لنقد بعض أسسها وتلويها، فإذا ما غلب على دينامية الحداثة منطق الفصل والقطيعة، فإن ذلك وسم المراحل الظاهرة للحداثة في ذروتها لتعود إلى توسيع وتلويها ابتداء من منتصف القرن العشرين" (محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، ص5)

ويرتكز المفكرون عادة في تعريف الحداثة إلى فكرتين أساسيتين هما: فكرة الثورة ضد التقليد، وفكرة مركزية العقل -

Tom Rock More, La modernité et la raison, Habermas et Hegel, In Archives de philosophie 52, 1989, p177-190

4. تعريف السيرة:

أ. لغة:

يقول أهل اللغة سار سيرا، وتَسِيرًا، وَمَسَارًا، وسار السَّيْرَةَ أو السَّيْرَةَ سَلَكَهَا وَاتَّبَعَهَا، والسيرة وجمعها سير تطلق على السنة والطريقة والهيئة والمذهب، ووصف السلوك، والحالة التي يكون عليها الإنسان (ينظر: مادة سير في معجم مقاييس اللغة، ومختار الصحاح، ولسان العرب، والمصباح المنير، والقاموس المحيط، والوسيط). (مقدمات في دراسة

السيرة النبوية الشريفة، https://muslim-nafahat.net/seera_001 / 3 / 02 / 2023)

ووردت هذه اللفظة في القرآن الكريم: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} (سورة طه، الآية: 21)

ب. التعريف الاصطلاحي:

إن السيرة النبوية يكون المقصود بها كيف كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس طوال حياته من مولده إلى وفاته. ومن ثم يمكن تعريف السيرة النبوية اصطلاحاً بأنها ذكر أحداث حياة النبي صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته، وما يتعلق بذلك من أشخاص ووقائع مع ترتيبها ترتيباً زمنياً.

وبناء على ذلك فإن السيرة يغلب عليها الجانب التاريخي، ومن ثم فإن السيرة بمعناها الدقيق هذا غير متوافر إلا في كتب السيرة المتخصصة وكتب المؤرخين، ولكن هذا لا يمنع من أن بعض المحدثين قد دونوا أحداث السيرة على نحو يُقارب ما هو كائن عند المؤرخين وكتاب السيرة. كما هو شأن البخاري في صحيحه، كما يتضح جلياً في كتب المناقب والفضائل والمغازي منه. (المرجع نفسه).

1) بين الإسلام والحداثة:

هناك من المفكرين العرب من يقارن بين الحداثة والإسلام فيعتبر أن لكل واحد منهما نظام ونسق مختلف كلياً عن الآخر، وفي هذا الشأن يقول نادر كاظم «إن الحداثة لا تقبل أن تنحصر في مجال ضيق كما انتهت إليه فلسفة اليونان، ولا الإسلام كذلك يقبل

أن ينحصر في مجال ضيق كما انتهت إليه مسيحية الغرب،... فالمسعى الأول؛ تحديث الإسلام، يقدّم الحداثة على حساب الإسلام، والمسعى الثاني؛ أسلمة الحداثة، يغلب الإسلام على الحداثة وهذا يعني أنّ كلّ مساعي الدمج بين النظامين لن يُكتب لها النجاح، إلا بمحو الطابع الكلي عن النظام المستوعب» " (نادر كاظم، «حداثيون... ويصلون! أدلجة الدين وأدلجة الحداثة»، مجلة: (علامات)، عدد25، 2006، دعم وزارة الثقافة، مكناس المغرب. ص29، 30)

ولهذا نجد بعض الحداثيين ذهبوا إلى إدانة الإسلام كنص تاريخي، منعطفاً من تجاوز النص الديني الذي لا يمكن تحوله إلى شيء معاصر. وبالرغم من ذلك، خلف المسلمون إثباتات عن الإسهامات الفكرية والعلمية التي قدموها طوال القرون في الفكر والفلسفة والصناعة والطب والفلك. إذ فإن الفكر الإسلامي لم يتوقف في مرحلة تاريخية ولا يمكن أن ننكر الإسهامات الفكرية والعلمية التي جادت بها عقول المسلمين منذ القرن الميلادي السابع قبل انبلاج الحداثة والنهضة في الغرب، والإسلام ازداد تألقاً بخاصية الاجتهاد المتواصل الذي يقره المسلمون جميعاً.

إن طموح المشروع للعالم العربي هو التجديد مع الحرص على دينه وهويته ومرجعياته. وهذا أمر يثير الآخرين الذين ينظرون إلينا على أننا منافس مزاحم، وخصم متطرف. إن الحداثة الغربية تطرح بمنظوماتها، وإفرازاتها مشكلات كثيرة على العالم العربي بصفة خاصة، وذلك بحكم طبيعتها المزوجة وما تتضمنه من جوانب جيدة و جوانب رديئة (مصطفى الشريف: الإسلام و الحداثة، هل يكون غداً عالم عربي؟، دار الشروق، ط1، 1999، ص6).

غير أن الأمر الأساسي الذي مكن العرب بالأمس من المشاركة في الحضارة الإنسانية وصنع أول حداثة حقيقية في تاريخ البشرية، هو الرسالة المحمدية وما تحمله بمفهومها المتفتح (المرجع نفسه، ص6)

"لقد أنبنى الإسلام وسط حضارات عتيقة احتفظت بهويتها تحتياً أو بصفة سافرة. و انبثت الحضارة الإسلامية في أوجها في القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الميلاديين (هشام جعيط: أزمة الثقافة الإسلامية ، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة العربية، 2000 ص25). وهذه الحضارة نفسها عاشت ما يسمى بعصر الانحطاط بدءاً من القرن السادس عشر أو السابع عشر، ويحدد المفكر "هشام جعيط" هذه المعالم التاريخية للعالم الإسلامي فيقول: " إن صحت كلمة انحطاط ، فهي لا تطال كل الإنتاج الثقافي، ولا تطال كل الرقاع الحضارية الإسلامية وكانت متميزة في تلك الفترة إلى حد بعيد، وطرحنا أيضاً مشكلة الجمود العام"، ويبرّر "جعيط" هذا الحال الذي عاشه العالم الإسلامي فيقول: " لكن الصيرورة التاريخية لا تتوقف أبداً أياً كان ذلك، والتغير مستمر إلى حد ما" (المرجع نفسه ، ص26) فإن الحضارات متى ما نجحت في نحت ذاتها وتغذية الإنسان، تتجح إلى نوع من الاستقرار المريح. ولا يمكن البتة أن نحاسبها بالانقلاب الضخم الذي حصل في أوروبا من القرن السادس عشر بل السابع عشر إلى التاسع عشر، لأنه حصيلة الصّدْف وحصيلة ضعف أوروبا لمدة ألف سنة ودخولها متأخرة في التاريخ الإنساني". (المرجع نفسه، ص30).

من خلال ما سبق يتضح لنا بأن المفكر هشام جعيط ممن ساهموا بمشروع تحديثي للدين الإسلامي عامة وللسيرة النبوية على وجه الخصوص، فمن هو هشام جعيط؟ وفيما تمثل تجديده للسيرة النبوية؟

2) تحديث السيرة النبوية عند هشام جعيط:

1. المنحى الشخصي لهشام جعيط:

ولد "هشام جعيط" بتونس في السادس من ديسمبر عام 1935م، أي زمن الاحتلال الفرنسي للبلاد حيث استقلت تونس عام 1956م، حيث كانت طبيعة المناهج التعليمية وسير الحياة الثقافية، تسير وفقاً لما يريده الفرنسيون الذين كانت لهم السيطرة على البلاد آنذاك(أسامة الهتمي، سلسلة رموز الفكر العلماني المعاصر- هشام جعيط، مجلة الراصد، فرق ومذاهب العدد الخامس والتسعون - جمادى الأولى 1432 هـ، نقلا عن : http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=3682)

ينتسب "هشام جعيط" إلى إحدى أعرق العائلات المحافظة في العاصمة التونسية. وكان والده من أشهر شيوخ الجامعة الزيتونية، لكنّه اختار طريقاً آخر غير الذي سلكه جلّ أفراد عائلته. فقد دخل المدرسة الصادقية التي انشأها المصلح التونسي " خيرالدين باشا التونسي"، والتي تخرجت منها النخب السياسية الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة على سبيل المثال لا الحصر، ليجد نفسه بفضل اللغة الفرنسية التي اتقنها مبكراً، في قلب الثقافة الحديثة.

(عبد الفتاح خليل، مقال هشام جعيط عن البيروقراطية أغضب بورقيبة، مجلة الوسط، العدد 439، 2000/6/26، ص 54)

وقد حصل جعيط على شهادته الثانوية من مدرسة الصادقية التونسية، ثم تابع دراسته الجامعية بالعاصمة الفرنسية "باريس" تحصل على شهادة التبريز في التاريخ سنة 1962 تحت إشراف كلود كاهين، ثم حصل سنة 1981م على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس أيضاً. قام بنشر العديد من الأعمال الفكرية والأكاديمية صدرت باللغتين العربية والفرنسية. (أسامة الهتمي، سلسلة رموز الفكر العلماني المعاصر - هشام جعيط، مرجع سابق).

كان أستاذ فخري لدى جامعة تونس، دَرَسَ كأستاذ زائر بعدة جامعات عربيّة، أوروبيّة وأميريكية منها جامعة ماك غيل (مونتريال) وجامعة كاليفورنيا، بركلي ومعهد فرنسا. تولّى رئاسة المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» بين سنتي 2012 و2015 وهو عضو في الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون.

2. وفاته:

توفي في الأول من يونيو 2021 ميلادياً الموافق 20 شوال 1442 هجرياً عن عمر ناهز 86 عامًا بعد معاناة مع المرض.

3. بعض من مؤلفاته:

- ✓ الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، بيروت، دار الطليعة، 1984
- ✓ الكوفة: نشأة المدينة العربية الإسلامية، بيروت، دار الطليعة، 1986
- ✓ الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، بيروت، دار الطليعة، 1992
- ✓ أزمة الثقافة الإسلامية، بيروت، دار الطليعة، 2000
- ✓ تأسيس الغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، 2004
- ✓ أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحداثة، بيروت، دار الطليعة، 2007
- ✓ في السيرة النبوية. 1: الوحي والقرآن والنبوة، بيروت، دار الطليعة، 1999
- ✓ في السيرة النبوية. 2: تاريخية الدعوة المحمدية، بيروت، دار الطليعة، 2006
- ✓ في السيرة النبوية. 3: مسيرة محمد في المدينة وانتصار الإسلام، بيروت، دار الطليعة، 2014

https://ar.wikipedia.org/wiki/هشام_جعيط_تاريخ_الاطلاع_3_مارس_2023

والجدير بالذكر هو أن "هشام جعيط" يعد من أبرز المثقفين والباحثين التونسيين العرب، المشغولين بإشكاليات الفكر العربي. فهو ينتمي إلى جيل ثقافي، متنوّع ومنفتح، نضج مبكراً وتميّز بأفاهه المعرفية، وتنوّع قراءاته وثقافته، وتوجهاته الفكرية، وانغماسه بالهموم القومية والقضايا الوطنية والشعبية، ومواجهة الغزو الثقافي، كما حاول خلق ثقافة عقلانية متنوّرة مستوعبة حضارياً مفردات ثقافات إنسانية أخرى. (السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص 184)

4. المشروع الإصلاحي العربي عند هشام جعيط:

من خلال كتاب أوروبا والإسلام لهشام جعيط يتبين لنا بأنه يدرس تجربة المشروع الإصلاحي العربي (الفكر العربي - الإسلامي والتنوير: 1988، والذي أعاد نشره في كتاب أزمة الثقافة الإسلامية)، حيث يبين في هذه الدراسة أن "صدمة الحداثة" عاشها الإصلاحيون العرب كجرح تفوق في القوة والتطوّر الصناعي، فاخترلوا الحداثة في مقولة "التمدن"، والتقدم في النهضة، ولم ينتبهوا إلى القطيعة الكبرى التي كرسها فكر الأنوار.

(المرجع نفسه، ص 187)

وما يهمنا في هذه الورقة البحثية من مشروع "هشام جعيط" هو كتابه في السيرة النبوية الذي صدر منه جزآن أثارا جدلا واسعا، فقد قدمه بأنه مشروع العلم الكبير. الذي وعد من خلاله بتقديم رؤية جديدة ومغايرة تماما للسيرة النبوية رجوعا إلى مصادر غير متداولة، وتطبيقا للمناهج المعاصرة في سوسيولوجيا وتاريخ الدين.

يركز " جعيط " في الجزء الأول الخاص بالوحي و النبوة على الظاهرة القرآنية صدر عام 1999م ، مبينا أن القرآن هو الوحيد مقارنة مع الكتب المقدسة الأخرى " الذي اعتبر نفسه و اعتبرته العقيدة الإسلامية ككلام منبثق كلياً عن الله في الشكل و المضمون؛ أي عن الشخصية الإلهية المنزهة المتعالية، وهذا ما لا نجده في الأديان الأخرى. " (أنظر المرجع نفسه، ص190) أما الجزء الثاني فخصصه لتاريخ الدعوة في مكة المكرمة صدر عام 2006م، وقد عدل فيها عن مقاربتة السابقة التي أقر بأنها نصف كلامية ونصف تاريخية بحثة، حيث اعتمد فيها البحث التاريخي " الوضعي ". من هنا يمكن القول بأن الكتاب اتسم بالمدرسية والسمة الأكاديمية. (المرجع والموضع نفسه)

و قد ختم " جعيط " ثلاثيته في السيرة ، بكتابه الجديد "حياة محمد، مسيرة الرسول بالمدينة ونصر الإسلام (الصادر عام 2012 باللغة الفرنسية) ، تناول فيه سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم .

حيث قال عنه: " إنه لم يقدم كتابا في العلوم الدينية، وإنما اعتمد مؤلفا تاريخيا بمقاربة تاريخية"، وأكد أنه اعتمد على عدد مهم من المصادر. خاصة المصادر الأولى، ولعل أبرزها سيرة "ابن إسحاق" الذي كان أول من وثق للسيرة النبوية كتابة، بعد أن كانت تنقل قبل ذلك مشافهة.(أنظر حياة السايب، هشام جعيط : كتابي الأخير حول محمد أفضل ما كتب عن رسول الإسلام على الإطلاق، مقال ، جريدة التقدمية، المركز العربي للدراسات السياسية و الإجتماعية بجنيف، 2012، نقلا عن 12 : 35 ، 25/

http://www.taqadumiya.net2015 /05) ، وكذلك عن سيرة "ابن هشام"

ابن هشام الأنصاري هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري من (708 هـ - 761 هـ) (1309م - 1360م). وهو من أئمة النحو العربي، فاق أقرانه شهرةً. واسع الاطلاع وحسن العبارة، صالح ورع). الذي استعاد تقريبا نفس سيرة ابن إسحاق.

3) صدام التراث والحداثة وأثرهم في دراسة السيرة النبوية عند هشام جعيط:

شكلت مسألة أسنة التشريع في الفكر الحداثي أحد المنطلقات الرئيسية حيث دعا أنصار تيار الوضعانية التشريعية الى علمنة التشريع بمعنى تخليصه من كل مرجعية دينية و التعامل مع التشريع الإسلامي كتراث يتطلب أنستته فظهر في ضوء المناخ الفكري القائم على الدمج بين الإسلام و أيديولوجيا التقدم و الحداثة نوعا من التصور القائم على انحلال الرابطة بين المسلمين و شريعتهم تحت ضغط الأفكار الغربية و إحلال قوانين مدنية مكانها ؛ غير مستمدة من القرآن ؛ لتنظيم مصالحهم المدنية و حاجتهم الدنيوية (سالم فتيحة، الشريعة في ضوء النقد الثقافي المعاصر هشام جعيط أنموذجا، مجلة التراث، العدد 29، المجلد الأول، 2018، ص679) لقد تبنى أنصار هذه المقاربة أسسا فكرية لإضفاء نوعا من الشرعية على الدعوة لأنسنة التشريع، ولهذا لا يمكننا أن نجد عند " هشام جعيط " نصا مباشرا يعرف فيه التراث كمفهوم. لكن يمكننا أن نستشف من خلال عمله النقدي الموضوع الذي يعتبره هو تراثا قابلا للدرس. إن التراث عنده يتعلق بكل ما آمن به المسلمون و اعتبروه حقيقة، ويتلخص في ثلاثة محاور هي:

1. الإيمان.

2. القرآن الكريم.

3. السيرة والأحداث التاريخية.

إنها كلها تمثل نصا تراثيا قابلا للدرس ومن الواجب إخضاعه للنقد العلمي التاريخي. ففي كتابه: " الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي"، يخصص " جعيط " فصلا كاملا للقيام بعملية نقد فينومينولوجي وأنتروبولوجي للإيمان و القرآن مبرزا مجموعة من الجوانب التاريخية و الميتافيزيقية التي حكمت الحدث في النص القرآني، فنجده يتعمق بالقراءة و التحليل لما يعتبره غالبية المسلمين خط أحمر لا يمكن تجاوزه .

ففي كتابه "الوحي و القرآن و النبوة" يستهل " هشام جعيط " حديثه بتوضيح رغبته في إعادة كتابة السيرة النبوية بطريقة علمية مغايرة لكل السير التي كتبت قديما أو حديثا. فهو يعدّ القارئ العربي، أو الغربي الذي يبحث عن عمل تاريخي مغاير لتواريخ السير، بأنه سيطلع هذه المرة على تاريخ يتصف بالموضوعية والدقة العلمية. كما يسلط " جعيط " الضوء على المنهجية التي سيتبعها بقوله: « هذا الكتاب

وما سيتبعه علمي وليس بالدراسة الفلسفية، ويعتبر بالتالي كمعطى ما هو لبّ الدين الإسلامي: الوحي، الإيمان، البعث. وسواء كان المؤرخ - المسلم وغير المسلم - مؤمنا أو خارجا عن الإيمان فمنهجه الصحيح هو هذا، أي اعتبار المعطى كمعطى ومحاولة تحليله لا أكثر». (هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة - بيروت، ط1، 1999، ص 8).

وبالنسبة لسيرة الرسول، اعتمد المفكر الراحل هشام جعيط على مصادر قديمة وعلى ما نشر من أبحاث معمقة في العلم الحديث، ولم يكتف بالاعتماد على آثار ابن إسحاق وابن هشام والطبري وغيرهم؛ لأنه لا بد من الاعتماد على كل المصادر ثم قراءتها وغربلتها. ولهذا فقد اعتمد "جعيط" في أبحاثه على علم التاريخ أو المنهج التاريخي الذي يرى أنه بلغ درجة من المصادقية قربته كثيرا من العلوم الصحيحة، وهو يستعمل علم التاريخ بتداخل مع مجموعة أخرى من العلوم والمعارف مثل الأنثروبولوجيا (علم الأجناس) والفيلولوجيا. ويلخص "جعيط" منهجه في التعامل مع هذا الموضوع بقوله؛ "إنه استقرأ الماضي متسلحا بمعرفة دقيقة بالمصادر والمراجع، وبالتعاطف اللازم مع موضوعه وبرحابه صدر وثقابة الفكر"، ويضيف جعيط قائلا: "ما سنحاوله هنا هو إعطاء نظرة أنثروبولوجية للثقافة العربية قبل الإسلام أولا، واستقرأ للنص القرآني وتتبع التأثيرات الخارجية والنظر النقدي في المصادر التاريخية والبيوغرافية." (المفكر هشام جعيط. طريق العرب والمسلمين لولوج باب الحداثة، <https://arabi21.com/story/1364569>، تاريخ الاطلاع، 2023/03/10).

يعتبر "هشام جعيط" نفسه بأنه أول من قام بدراسة جادة للسيرة النبوية في العالم العربي والإسلامي بعد دراستها والتفصيل في قضاياها من طرف المستشرقين الذين يغلب على دراستهم الطابع الإيديولوجي حسب رأيه. باعتبارها محاولة من أجل الوصول إلى نتائج علمية تتعلق بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم ونشأة الإسلام. عكس تلك الدراسات التقليدية التي تركز على العاطفة الدينية ولا تتصف بالموضوعية. فلقد تبين لـ "جعيط" بأنه لا يهم أن يكون المفكر مؤمنا أو غير مؤمن وإنما المهم هو أن يقدم أفكاراً عقلية بعيدة عن العاطفة. وأن يحاول دراسة السيرة من منطلق الباحث المحايد. واما أنّ شخصية محمد صلى الله عليه وسلم أثرت كثيرا في تاريخ الإنسانية ولا تزال تؤثر. فإنه لا توجد شخصية أخرى تستحق الدراسة أكثر من محمد عليه الصلاة والسلام. (عقاف مسعى، إعادة قراءة السيرة النبوية عند هشام جعيط، مجلة دراسات، المجلد9، العدد9، 2018، ص143)

أراد "هشام جعيط" من خلال مشروعه حول إعادة قراءة السيرة النبوية الشريفة، تقديم قراءة علمية جديدة مبنية على العقل بالاعتماد على القرآن الكريم وحده باعتباره نصا مقدسا متزامنا مع وجود النبي عليه الصلاة والسلام، غير أن الملاحظ على هذه القراءة الجديدة بأنها وردت على شكل طعون في مختلف جوانب سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، الأمر الذي أكسبها طابع التشكيك في حقائق نسبه، وتاريخ مولده وبعثته وحتى وفاته، والطعن في اسمه الشريف، معتبرا أنّ محمدا مجرد صفة من صفاته استقاها الرسول من التراث السرياني واليهودي.

4. التشكيك في نشأة واسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم حسب هشام جعيط :

فيما يخص نشأة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- يقول جعيط: لم يولد النبي محمد في رأيي قبل سنة 580م أو حولها أو بعدها، وكل حديث عن ميلاده -محمد صلى الله عليه وسلم- سنة 570 أو 571م. "لا يصمد أمام الفحص". وهو يرى أن ربط تاريخ ميلاد النبي بهجمة أبرهة على العرب، "زيادة على أنه مخالف لما وجد في بعض النقوش والذي يجعل تاريخ الهجمة في حدود سنة 547م؛ فهو لا يعدو أن يكون علامة زمنية، ذلك أن الفيل أصبح أداة للتاريخ وليس له بعد غيبي يعطي لتاريخ ميلاده أي رمزية دينية". (أنظر هشام جعيط: تاريخية الدعوة المحمدية مكة، ط2، دار الطليعة ، بيروت، 2007، ص143)

كما يعتقد بأن الرسول بعث وهو في الثلاثين من عمره باعتبار أن تاريخ الميلاد هو سنة 580 وليس 570. ولأن سن الأربعين سن الشيخوخة؛ لذلك فهو يستغرب كيف يقرر القرآن أنها — أي الأربعين- هي السن التي يبلغ فيها الإنسان أشده (المصدر و الموضوع نفسه).

و يخلص بحثه في هذه المسألة بالقول: "رأى أن محمدا بعث في الثلاثين أو حتى قبل ذلك ولم يولد إلا حوالي سنة 580 ميلاديا ولم يعيش إلا خمسين سنة". (أنظر المصدر نفسه، ص144)

و قال عن والده - محمد صلى الله عليه وسلم- إن اسمه لم يكن عبد الله، والأرجح حسب رأيه هو أن النبي - محمد صلى الله عليه وسلم- هو من أطلق عليه هذا الاسم، أو سمّاه هكذا أصحابه أو تابعوهم(أنظر المصدر السابق، ص146) .

أما عن اسمه - محمد صلى الله عليه وسلم- فقال " جعيط ": إنه لم يكن محمدا منذ الولادة مستشهدا في ذلك بأن القرآن لم يسمه باسم محمد إلا في السور المدنية. قال تعالى: (محمد رسول الله والذين آمنوا معه) (الفتح،29)، (و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) (آل عمران،144)، و زعم "جعيط " أن اسم محمد هو واحد من التأثيرات المسيحية، وأنه نقل إلى العربية عن السريانية، و أنه يعني في تلك اللغة "الأشهر و الأجد"، "illoustrios" باليونانية و باللاتينية على السواء، و أن صيغتها الأولى كانت "محمدان". (أنظر المصدر السابق، ص147، 148)

مستدلا بقول الله تعالى: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف، آية 6)، و هو مأخوذ من إنجيل يوحنا الذي ذكر "الباراكليتس" Paracletos الذي يعني التّفخيم و الرفعة، و المواسي. فاتخذ النبي اسم محمد في العهد المدني، وكان مُنْشَغَلًا بأن يكون الباراكليتس الذي بشر به المسيح". (أنظر المصدر السابق، ص148)

و بالتالي يستنتج "هشام جعيط" الاسم الحقيقي للرسول - محمد صلى الله عليه وسلم-. فيزعم أن المصادر أخفت اسمه الحقيقي قبل البعثة. و ذكر أنه ترجّح لديه أن اسمه الأول هو قُثم، لأن المؤرخ "البلاذري" ذكر في كتابه أنساب الأشراف أن "عبد الله بن عبد المطلب" والد النبي كان يُكنى بأبي قُثم، ويُقال بأبي محمد. ثم زعم أيضا أن "البلاذري" ذكر أن بعض أبناء عبد المطلب كان اسمه قُثم، فمن المعقول أن نستنتج أن النبي تسمى على اسم عمه المفقود، و هذا من عادات قريش ؟. (أنظر المصدر السابق، ص149)

5. الرد على زعم هشام جعيط حول أصل نشأة واسم الرسول صلى الله عليه وسلم:
إن جعيط كما وقع في قلق و حيرة على المستوى المنهجي فقد وقع أيضاً في قلق و حيرة مضمونية أي على مستوى الإشكاليات والأحداث التي قام بتحليلها، بل إنه وقع في عدة تناقضات فكل الروايات المتواترة تبرز أن الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه محمد وهو يذكر اسمه بنفسه إلا أن جعيط ومن قبله المستشرقون يقولون ربما كان اسمه محمد. فلو كان الاسم الحقيقي للنبي قُثم فما العيب في إظهاره ولماذا تم تركه؟ كما أن تاريخ ولادة النبي لماذا يتم ربطه بحدث أبرهة الحبشي فقد كان بإمكان العرب أيضاً أن يربطوه بأي حدث آخر ربما أفضل وأشد، ثم إن أغلب الروايات تثبت أن النبي نزل عليه الوحي وهو في الأربعين غير أن جعيط ينكر تاريخ ولادته من ناحية ويعترف بتاريخ نزول الوحي عليه فمن أين تحقق من تاريخ نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم.

غير أن "هشام جعيط" لم يقدم أية أدلة مقنعة على ذلك و اكتفى بالتأويلات والفرضيات وهذا لا يستقيم في البحث التاريخي بل حتى المنهج التاريخي نفسه لا يقبله ولم يلتزم به حتى المستشرقون الذين تحكمت فيهم أحكام وأفكار مسبقة حولت الاستنتاجات نحو هذه الأحكام.)
زبير خلف الله، قراءة في فكر هشام جعيط ومنهجه، مجلة البيان الإلكترونية، العدد 371، 10/03/2023/

(<https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=6174>)

ويرد الأستاذ " خالد كبير علال" على افتراءات "جعيط" فيقول: " وزعمه هذا خرافة كبيرة، لم يستح من ذكرها، ولا ذكر عليها دليلا صحيحا ولا ضعيفا، وهي باطلة شرعا وعقلا وتاريخا. فهو رجل مُحَرَّف مُتَبَع لهواه، لم يأت بدليل يُثبت زعمه الخرافي، وتعلق بظنون وأوهام وشبهات اختلقها ونفخها وبنى عليها أسطوره. وأما استشهاده بما رواه البلاذري، فهو استشهاد لا يصح الاعتماد عليه، لأنه خبر رواه "البلاذري" دون إسناد، والخبر الذي هذا حاله لا يصح الاحتجاج به في علم الجرح والتعديل، خاصة وأنه يتعلق بأمر هام جدا يستلزم التأكد من صحته إسنادا ومتنا. والخبر الذي يفقده الإسناد هو خبر افتقد شرطا أساسيا من شروط صحة الخبر". (أنظر خالد كبير

علال، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد، الجزائر، 2008، ص148)

علمنا بأن ذلك الخبر-الذي رواه البلاذري-ليس دليلاً على أن النبي-عليه الصلاة والسلام-كان يُسمى قُثمًا، وإنما هو يتعلق بأمر آخر، مفاده أن أباه عبد الله كانت له كنيستان، الأولى هي: أبو قُثم، والثانية هي: أبو محمد، تسمى بها بعد ميلاد ابنه محمد، والأولى تسمى بها قبل ميلاد ابنه. (أنظر المرجع والموضع نفسه)

وهذا معروف في التاريخ الإسلامي، فإن كثيرا من الناس تكنوا قبل زواجهم، أو قبل أن يصبح عندهم أولاد، أو تزوجوا ولم يكن لهم أبناء، وقد كان شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية (ت 728 هجرية)، يُكنى بأبي العباس وهو لم يتزوج أصلاً. (أنظر المرجع السابق، ص149).

والأكثر من ذلك تركيزه في دراسة السيرة النبوية على تفسير أمية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومحاولة إثبات ما جاء به بعض المستشرقين بأن محمد عليه الصلاة والسلام عالم متقن للكثير من اللغات في عصره فكيف كان ذلك؟

4) أمية النبي محمد صلى الله عليه وسلم من منظور الفكر الاستشراقي وهشام جعيط والرد عليهم:

1. مفهوم أمي من المنظور الاستشراقي والجعيطي:

من المسائل التي شغلت مساحة كبيرة في دراسات المستشرقين أمية محمد صلى الله عليه وسلم، حتى إنه ليندر ألا يعرض لها أحد المستشرقين في كتاباته عن الإسلام بالبحث الجاد أو العرضي، رغم أنها عديمة التأثير في إثبات النبوة أو عدمها، ولكنها تعد قضية محورية في مرحلة إعداداته، وإعداد كتابه (القرآن)، وانقسم الباحثون منهم تجاه هذه القضية قسمين.

1. قسم رأى أن محمداً قد عرف القراءة والكتابة منذ زمن مبكر، واستدل على رأيه بما ورد في التراث الإسلامي (تاريخ، أشعار، آثار، أحاديث) مؤيداً وجهة نظره، على أن ذلك يعد ملمحاً هاماً بالنسبة له في تأليف النص القرآني، وصياغته اعتماداً على المصادر القديمة والديانات السابقة.

2. قسم تبنى النظرة الإسلامية العامة، والتي تؤكد على أمية محمد وجهله التام بالقراءة والكتابة، لكنه لا مانع من تأثر محمد الشفهي بالمصادر الخارجية (توراة، إنجيل) والتي يلمح أثرها الواضح في النص القرآني.

ويمثل هذا القسم الذي يتفق مع الجمهور الإسلامي، كـ (أماري، وكازيميرسكي، ومونتنيه، ول ديورانت، نيكيتا إيليسف، وكارين أرمسترنج). (خالد محمد عبده، أمية النبي محمد في الفكر الاستشراقي، مجلة الكلمة العدد 79 نوفمبر 2013،

<http://www.alkalimah.net/Articles/Read/5854>، تاريخ الدخول: 2023/03/10).

فيتحدث (ول ديورانت) عن محمد في بداية حديثه عن الإسلام، ويرى أنه لم يتعلم، ويرجع سبب ذلك إلى عدم اعتناء الآخرين به، وبصورة أوضح (اليثم) كان سبباً في حرمانه من التعليم والثقافة الموسوعية، إلا أن قوله ينبع من نظرة سطحية غير تأصيلية لمؤرخ مثله، فيقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه البلاذري في إحصاء الكتب في مكة، قال: "ولكن يبدو أن أحداً لم يعن بتعليمه القراءة والكتابة، ولم تكن لهذه الميزة قيمة عند العرب في ذلك الوقت، ولهذا لم يكن في قبيلة قريش كلها إلا سبعة عشر رجلاً يقرؤون ويكتبون، ولم يعرف عن محمد أنه كتب شيئاً بنفسه، وكان بعد الرسالة يستخدم كاتباً خاصاً، ولكن هذا لم يحل بينه وبين المجيء بأشهر وأبلغ كتاب في اللغة العربية". (المرجع نفسه).

وفي المقابل نجد المستشرق "منتغمري وات" يذكر: "إن الإسلام التقليدي يقول بأن محمداً لم يقرأ أو يكتب، ولكن هذا الزعيم مما يرتاب فيه الباحث الغربي الحديث، لأنه يقال لتأكيد الاعتقاد بأنه إخراجاً للقرآن كان معجزاً وبالعكس، فلقد كان كثير من المكيين يقرؤون ويكتبون، ولذلك يفترض أن تاجراً ناجحاً كمحمد لا بد أن يكون قد عرف شيئاً من هذه الفنون." (نوال عباسي، مفهوم

الإنسان الكامل في الإسلام، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر، 2011، ص202)

بناء على ذلك فإن "وات" رجح أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد استقهم عن ماذا يقرأ، واعتبر أن هذا هو المعنى الطبيعي لـ "ما أقرأ": يقصد عند نزول جبريل عليه السلام وأمره بأن يقرأ وفي القرآن الكريم آيات كثيرة دالة على أميته عليه الصلاة والسلام

مثل قوله تعالى: (وما كنت تتلوا من قبله، من كتب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) (العنكبوت: آية 48)

ويبدو أن "وات" الذي يعزو نبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى التخيل الخلاق واللاوعي الجماعي، يريد لنظريته أن تتكامل وتتماسك بحيث ينفي أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأنه لا يمكن لأمي إنتاج مثل هذا العمل الضخم الذي يحتاج لشخصية متعلمة ومتفقة، وعلى هذا الأساس فقد اعتبر "وات" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من مثقفي العصر، وهذا ما يندرج تحت منهج البناء و

الهدم الذي اتبعه "وات" وهو يرمي من وراء ذلك إلى هدم قناعات ومسلمات عقديّة. (نوال عباسي، مفهوم الإنسان الكامل في الإسلام، مرجع سابق، ص 203).

والجدير بالذكر أنه يوجد الكثير من المستشرقين الذين اهتموا بأمية محمد صلى الله عليه وسلم حيث ظهرت لهم آراء عديدة حول معنى كلمة أمي وأميون، ومن الأوائل الذين تناولوا هذه القضية "سبرنجر" في كتابه "حياة وعقيدة محمد" برلين سنة (1861م) 2. رد عبد الرحمن بدوي عن الزعم الاستشراقي والجعيطي لمفهوم أمية الرسول:

يرد المفكر "عبد الرحمن بدوي" (4 فبراير 1917 - 25 يوليو 2002م القاهرة) على هذا الزعم، بتأكيد على أن هذا الرأي يعتمد على آية فهمت خطأ في القرآن الكريم في سورة البقرة. (نوال عباسي، الدفاع عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ضد المستشرقين، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1، 2012، ص128) وهي: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَخْتَلِفُونَ إِلَّا فِي مَا يَسْتَشْتَرُونَ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْتَلِفُونَ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (آية 78-79). حيث أن هذه الآية حرفت عن معناها حيث يقول "أبو إسحاق": إن كلمة أميين والتي ترجمتها بمعنى قراء وهي توجد في آيات أخرى من القرآن بهذا المعنى وتعني أيضا قراءة... ويعتبر معنى الآية التي استشهد بها "سبرنجر" ومنهم أميون لا يستطيعون الكتابة وإنما القراءة أي أن "الأماني" تعني القراءة (المرجع نفسه، ص129).

ويبين "بدوي": أنه من السهل علينا تنفيذ الرأي الفاسد (فأمي) لا تعني وثني والنبى صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بأنه نبي أمي وهو يجادل اليهود، ومن المستحيل والمخالف للواقع أن يصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بأنه (أمي) وهو يقصد كافرا أو وثنيا لأن بهذا المعنى تكون صفة أمي فيها نوع من الإهانة. (عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية، ص16)

وفي نفس هذا السياق نجد "هشام جعيط" يؤكد زعمه بأن النبي جمع بين العلم والإلهام والوحي، الذي هو أكثر من الإلهام. ثم سواه بغيره من كبار مؤسسي الأديان، بحيث يرى بأنه لا وجود في الواقع لمؤسسين كبار من دون معرفة عميقة بترائهم وبتقافتهم، وبما سبقهم من الذين، كبودا وعيسى، وكلاهما وُلد في مكان ناءٍ عن المركز، أي مركز المعرفة، الأول في النيبال، والآخر في الجليل. والابتعاد عن المركز مع العبقرية يأتي بالشيء العظيم، لكونه متحررا من الضغوط، فينتقل الفكر. ولنتذكر هنا ابن خلدون، وإيمانويل كانت، في كونيغسبرغ النائية. ولو وُلد هذا الأخير في باريس أو لندن ما خرج منه ما خرج. (أنظر هشام جعيط: تاريخية الدعوة المحمدية مكة، مصدر سابق، ص337).

ولذلك ينفي "جعيط" أمية النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقول: "من الواضح عندي أن شخصا مثل محمد، في الزمن والوسط الذي عاش فيه، كان يحسن القراءة والكتابة وأنه كان يتمتع بأوصاف النبوغ والعبقرية والحافطة والذكاء الوجداني. فإن يكون المسلمون في العهد الخلفي (الثاني والثالث هـ)، أرادوا أن ينزعوا عنه هذه الأوصاف في سبيل دعم إلهية القرآن، فهو أمر مفهوم ولعله محبذ. لكنهم سرعان ما نسبوا إليه الأحاديث واعتبروه مصدر التشريع والحكمة والأخلاق". (هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، مصدر سابق، ص45)

و ليؤكد المؤرخ "جعيط" زعمه لدحض أمية الرسول عليه الصلاة والسلام، يذهب إلى أبعد من ذلك. وهو تكذيب كل ما جاء في السيرة النبوية، فما ذهب إليه جعيط من أن الرسول لم يكن أمياً هو مخالف لما ورد في النص القرآني الذي وضح أن النبي لم يكن يعرف القراءة والكتابة وأن أمية النبي إثبات لمعجزة القرآن فلو كان النبي يعرف القراءة والكتابة لماذا يشبه نفسه في القرآن بالأمي؟ ليس تشبيه الذات بالأمية نقيصة في حق الإنسان! خصوصاً أن أعداءه في قريش كانوا سيتهمون به بالتحريف والتزوير وبأنه أخذ من ديانات أخرى، فلم لم يدع هذا مثلاً ورقة بن نوفل الذي كان عالماً بالأديان في زمن النبي عليه السلام؟

الحقيقة إن النتائج التي وصل إليها جعيط ليست حقائق علمية ولا تاريخية موثقة في كتب الأولين وإنما مجرد تخمينات قائمة على تأويلات ليست من إنتاجه بل هي استنتاجات سبقه إليها بعض المستشرقين. (أنظر زبير خلف الله، مرجع سابق)، وممن يرفض هذا الزعم من المستشرقين أنفسهم وتبنى النظرة الإسلامية العامة في قضية (الأمية) نجد "كارين أرمسترنج" وهي باحثة محايدة، اخترنا رأيها في هذه القضية لأنه رأياً محافظاً نظراً لنزاهته وحيادته حيث تقول: "كثيراً ما يدعى محمد في القرآن النبي الأمي، أي: الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ويؤكد الاعتقاد في أمية محمد على الطبيعة الإعجازية للتنزيل." غير أن بعض الدارسين الغربيين المحدثين، يذهبون إلى أن لقب (أمي) لا يجب أن يفسر على أنه: جهل بالقراءة والكتابة؛ إذ أن النبي كتاجر قد يكون أَلَمَ بمبادئ الكتابة، أما المعنى الذي يذهبون إليه فهو

أنه كان نبياً للأميين الذين لم يتلقوا كتاباً سماوياً من الله، وبمعنى آخر يفسر لفظ الأمي على أنه: يعني غير اليهودي النبي المرسل لغير اليهود. (خالد محمد عبده، أَمِيَّةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فِي الْفِكْرِ الْإِسْتِشْرَاقِيِّ، مرجع سابق)، وبالعودة إلى النتائج التي توصل إليها هشام جعيط في هذا الموضوع. فلا نجد يعتمد على أي دليل سواء كان علمي أو ديني، بل هي مجرد افتراءات واهية مردودة على صاحبها الذي يدعي النبوغ والعظمة الفكرية التي لم يجاريه فيها أحد.

صحيح أن النبي محمد —عليه الصلاة والسلام— كان عظيماً، وذكياً، وفطناً، وقائداً مُحَنَكاً، و مُرَبِّياً ناجحاً... إلخ، لكنه لم يكن عالماً ولا مُلْهُماً ولا عبقرية، وإنما كان نبياً رسولاً أمياً، أكرمه الله تعالى بالنبوة، واختاره لها بفضلته وكرمه، وعنايته وحكمته، لقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف- 110) ، وقوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح: 29).

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكننا التوصل إلى أن النتائج الفكرية العربي في "إشكالية التراث والحداثة" ليس بالقضية الجديدة على الفكر العربي المعاصر. فقد اكتشف هذا الفكر من خلال ما يسمى " بصدمة الحداثة ". الآخر المتقدم ، و الأنا الذي يعاني التأخر والركود ، لقد لاحظ وجود عالم جديد تمت صياغته ليكون حضارة كونية ليس له فيها مكان. فراح يقلده ويمجده في كل المجالات، ففقد هويته، وطمس شخصيته، وأصبح تابعاً بعدما كان مُتبعاً، فأخذ القشور المادية وترك الروح الحقيقية التي قامت على أساسها الحداثة الغربية، فعمد بعض من دعاة التجديد على الحفر في السيرة النبوية لأجل التشكيك في صدق ما جاء فيها أمثال هشام جعيط وغيره ممن عاصروه.

فأصبح من الضروري التفريق بين عالم عربي إسلامي له هويته وأصالته ودينه والمقدس فيه وبين التجديد الذي لا يهدم هذه المعالم الثابتة. أن القراءة الجديدة عند "هشام جعيط" تتمثل في تطبيقه لمجموعة من المناهج الغربية عامة و الاستشراقية على وجه الخصوص على التاريخ العربي الإسلامي وبالتحديد على السيرة النبوية. والذي تبين بأنه لا يملك أية ثقة في الأمة العربية الإسلامية ذلك أنها لم تنتج - حسب رأيه - ثقافة حقيقية على أي مستوى من المستويات، فأولك لنفسه مهمة إيجاد الحل المناسب لتخلف هذه الحضارة، و الذي أرتأى أن يكون من خارج العالم العربي الإسلامي، فوصل إلى منفذ وحيد، و هو ضرورة إتباع الحداثة الغربية، لأنه من الخطير في اعتقاده أن يبقى الإنسان سجين نفسه في زمن مضى، فيعطي للأموال سلطة على حياته و واقعه و معالم لمستقبله، لأن الماضي هو سبب أزمنا، بل و سبب الشرخ الكبير الموجود بيننا و بين الغرب، لذلك يرى "جعيط" بأننا كعرب غير مطالبين بالشيء الكثير، كما أنه لا يرى في تراثنا أي قدرة على التجديد، غير أنه وقع في الخلط المعرفي والمنهجي و تهكم بل و تناول على التراث المقدس بما فيه، لأنه ببساطة عمل على نقده، بل و حاول بكل الطرق تفنيده لأجل تجاوزه إلى الحداثة التي يرى بأنها السبيل الأنسب للخروج من أزمة التخلف التي يعيشها العالم العربي - الإسلامي. وهذا ما يفسر محاولته للانفصال نهائياً عن التراث، عن الهوية، عن الأصالة، عن الدين، بل وعن التاريخ نفسه. وهو موقف غريب لمن يدعي بأنه على إطلاع كامل لما جاء في التاريخ الإسلامي. ولذلك فإن أي دعوة إلى الانفصال عن الذات، عن الهوية الأساسية، عن التراث. واتباع كل ما يوجد في الغرب، هي دعوة باطلية لا يمكن الأخذ بها، لأنها من دون شك تريد القضاء على الشخصية العربية الإسلامية وإقصائها من تاريخ الإنسانية العريق. وللخروج من المأزق الحضاري الذي يتخبط فيه العالم العربي - الإسلامي، لا بد من المصالحة بين الأصالة والحداثة، في إطار المحافظة على الأول والأخذ من إيجابيات الثاني.

والجدير بالذكر بأن السيرة النبوية قد أثرت في كثير من كبار الشخصيات الغربية من أهل الإنصاف أمثال "سير وليم موير، وبرناردشو، وهاملتون جيب وغيرهم"، مما جعلهم يصدعون بالحق ويشهدون بعقلانية محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته. إن سير العلماء وتواريخ القادة وأخبار المصلحين وغيرهم عبر كل الحضارات، تُكتب ثم تُختم، ولا يعود فيها مجال للمزيد أو الجديد، لكن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ولا تزال وستظل ميداناً مفتوحاً للدراسة والبحث، ومن غير المعقول أن تكون دراستها سبباً في تخلف عالمنا العربي - الإسلامي، بل لابد من البحث في أسباب أخرى هي سبب التخلف. والأكد أن المجال مفتوح لكل باحث عن الحقيقة بموضوعية سواء كان ينتمي للعالم العربي الإسلامي، أو من العالم الغربي.

المراجع:

- 1-المصحف الشريف، رواية حفص.
- 2-تعريف ومعنى تراث في قاموس الكل. قاموس عربي عربي، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-a>، 28/02/2023.
- 3-جورج طرابيشي: هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، رابطة العقلايين العرب، دار الساقى، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 96.
- 4-المرجع والموضع نفسه.
- 5-ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، الجزء: 12 ادب الحوزة، مكان النشر: قم، إيران: تاريخ النشر: 1405 [1984] ص: 295.

- 6-المرجع والموضع نفسه.
- 7- Jean-Pierre Pourtois et Huguette Desmet, *L'éducation postmoderne*, P.U.F, Paris, 1997, p26.
- 8-محمد سيلا وعبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، ص5.
- 9- Tom Rock More, *La modernité et la raison*, Habermas et Hegel, In *Archives de philosophie* 52, 1989, -9 p177-190.
- 10-مقدمات في دراسة السيرة النبوية الشريفة، https://muslim-nafahat.net/seera_001/ 3 / 02 / 2023.
- 11-نادر كاظم، «حداثيون... ويصلون! أدلجة الدين وأدلجة الحداثة»، مجلة: (علامات)، عدد25، 2006، دعم وزارة الثقافة، مكناس المغرب. ص29، 30.
- 12-مصطفى الشريف: الإسلام و الحداثة، هل يكون غدا عالم عربي؟، دار الشروق، ط1، 1999، ص6.
- 13-المرجع نفسه، ص6.
- 14-هشام جعيط: أزمة الثقافة الإسلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة العربية، 2000، ص25.
- 15-المرجع نفسه، ص26.
- 16-المرجع نفسه، ص30.
- 17-أسامة الهتمي، سلسلة رموز الفكر العلماني المعاصر - هشام جعيط، مجلة الراصد، فرق ومذاهب\العدد الخامس والتسعون - جمادى الأولى 1432 هـ، نقلا عن http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=3682 :
- 18-عبد الفتاح خليل، مقال هشام جعيط عن البيروقراطية أعضب بورقبيبة، مجلة الوسط، العدد 439، 2000/6/26، ص54.
- 19-أسامة الهتمي، سلسلة رموز الفكر العلماني المعاصر - هشام جعيط، مرجع سابق.
- 20- <https://ar.wikipedia.org/wiki>، هشام جعيط تاريخ الاطلاع 3مارس2023.
- 21-السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص184.
- 22-المرجع نفسه، ص187.
- 23-أنظر المرجع نفسه، ص190.
- 24-المرجع والموضع نفسه.
- 25-أنظر حياة السايب، هشام جعيط : كتابي الأخير حول محمد أفضل ما كتب عن رسول الإسلام على الإطلاق، مقال ، جريدة التقديمية، المركز العربي للدراسات السياسية و الاجتماعية بجنيف، 2012، نقلا عن <http://www.taquadoumiya.net>: 12، 35، 05 / 25 / 2015.
- 26-سالم فتيحة، الشريعة في ضوء النقد الثقافي المعاصر هشام جعيط أنموذجا، مجلة التراث، العدد 29، المجلد الأول، 2018، ص679.
- 27-هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، دار الطليعة - بيروت، ط1، 1999، ص8.
- 28-المفكر هشام جعيط. طريق العرب والمسلمين لولوج باب الحداثة، <https://arabi21.com/story/1364569>، تاريخ الاطلاع، 2023/02/10.
- 29-عقاف مسعى، إعادة قراءة السيرة النبوية عند هشام جعيط، مجلة دراسات، المجلد9، العدد9، 2018، ص143.
- 30-أنظر هشام جعيط: تاريخية الدعوة المحمدية مكة، ط2، دار الطليعة، بيروت، 2007، ص143.
- 31-المصدر و الموضع نفسه.
- 32-أنظر المصدر نفسه، ص144.
- 33-أنظر المصدر السابق، ص146.
- 34-أنظر المصدر السابق، ص147، 148.
- 35-أنظر المصدر السابق، ص148.
- 36-زبير خلف الله، قراءة في فكر هشام جعيط ومنهجه، مجلة البيان الالكترونية، العدد371، 2023/03/10 / <https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=6174>
- 37-أنظر خالد كبير علال، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبوي محمد، الجزائر، 2008، ص148.
- 38-أنظر المرجع والموضع نفسه.
- 39-أنظر المرجع السابق، ص149.

- 40-خالد محمد عبده، أمية النبي محمد في الفكر الاستشراقي، مجلة الكلمة العدد 79 نوفمبر 2013، <http://www.alkalimah.net/Articles/Read/5854>، تاريخ الدخول: 2023/03/10.
- 41-نوال عباسي، مفهوم الإنسان الكامل في الإسلام، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر، 2011، ص202.
- 42-نوال عباسي، مفهوم الإنسان الكامل في الإسلام، مرجع سابق، ص 203.
- 43-نوال عباسي، الدفاع عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ضد المستشرقين، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط 1، 2012، ص128.
- 44-المرجع نفسه، ص129.
- 45-عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية، ص16.
- 46-أنظر هشام جعيط: تاريخية الدعوة المحمدية مكة، مصدر سابق، ص337.
- 47-هشام جعيط، الوحي والقرآن والنبوة، مصدر سابق، ص45.
- 48-أنظر زبير خلف الله، مرجع سابق.
- 49-خالد محمد عبده، أمية النبي محمد في الفكر الاستشراقي، مرجع سابق.